الاستطراد في الحديث الشريف في سياق الاستفهام

منال حجي سالم
جامعة كركوك – كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ.م.د. سعد عبد الرحيم أحمد
جامعة كركوك – كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

أسهم الاستطراد في الكشف عن أسرار التعبير النبوي من خلال تعاضده مع فن الاستفهام وهو من فنون علم المعاني، والوقوف على أهم أسرار الاستطراد، وكيف له أثر في الاستعطاف و إثارة الغضب مما يثير اهتمام المتلقيين ويكون مقابله الاستفهام؛ ليفسح مجال للشخص أو المتلقي في التفكير والتوسع في الكلام؛ لأن فيه سؤالاً يتطلب إجابة لذلك الكلام بموضوع ثم الخروج منه إلى موضوع ثانٍ؛ لتساؤلات أثناء الحديث في نفس المتلقي ثم الإجابة عليه، والاستفهام نوع جديد للانتقال لمعنى آخر؛ لإثارة المتلقي للإجابة، وهذهِ نقطة التقاء بين الفنيين في الانتقال من معنى إلى آخر. ويتبين ذلك من خلال نماذج الذي تم تحليلها والوقوف على أهم النقاط فيه؛ لبيان البلاغة والإعجاز في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

المقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يعد البحث في الاستطراد في سياق الاستفهام من البحوث والدراسات التي تحتاج إلى دراسة وملاحظة إلى كل ما يتعلق بالحديث الشريف في سياق (الاستطراد الاستفهامي)، ونحاول هنا أن نتطرق إلى أمر لم يتطرق إليه الباحثون سابقاً، وهو العلاقة بين الاستطراد والاستفهام وبيان صلة التفاعل وترابط هذهِ الفنيين في نص واحد من نصوص الأحاديث الشريفة.

ولأجل الكشف عن العلاقة بين الاستطراد والاستفهام من خلال وظائف كل من هذين الفنيين، وبتأكيد ذلك من خلال الأحاديث، كان لابد من الاعتماد عن كتب اللغة التي بينت الاستطراد، والاعتماد على الكتب البلاغية للوقوف على مصطلحات كل من الاستطراد والاستفهام من خلال التطرق إلى تعريف الاستطراد والاستفهام، وبيان العلاقة بينهما، وكتب الصحاح التي تعد مصدر

رئيساً، لأنها مصادر النصوص التي جرى عليها التحليل، وكتب الشروحات؛ لشرح الأحاديث والوقوف على أهم أسراره، من خلال تناول نصوص الأحاديث التي جرى عليها الشرح والتحليل، ختم البحث بالنتائج الذي توصل إليه الباحث.

الاستطراد في اللغة والاصطلاح :

1. الاستطراد في اللغة

يحمل الاستطراد في أصله (طرد) اللغوي أكثر من معنى و منها الإبعاد والتتابع " طَرَدَ الطَّاءُ وَالرَّاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِبْعَادٍ. يُقَالُ: طَرَدْتُهُ طَرْدًا. وَأَطْرَدَهُ السُّلْطَانُ وَطَرَّدَهُ، إِذَا أَخْرَجَهُ عَنْ بَلَدِهِ. وَالطَّرْدُ: مُعَالَجَةُ أَخْذِ الصَّيْدِ. وَالطَّرِيدَةُ: الصَّيْدُ. وَمُطَارَدَةُ الْأَقْرَانِ: حَمْلُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ وَقِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا يَطْرُدُ ذَاكَ. وَالْمِطْرَدُ: رُمْحٌ صَغِيرٌ. وَيُقَالُ لِمَحَجَّةِ الطَّرِيقِ: مَطْرَدَةٌ. وَيُقَالُ: اطَّرَدَ الشَّيْءُ اطِّرَادًا، إِذَا تَابَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا، كَأَنَّ الْأَوَّلَ يَطْرُدُ الثَّانِي" [(1)].

2. الاستطراد في الاصطلاح

الاستطراد من المحسنات المعنوية، من فنون علم البديع، كثير التداول بين أغلب النقاد وعلماء البلاغة والأدب. وله تعريفات عديدة، فهو عند الجاحظ (ت:255هـ) "الانتقال من موضوع إلى آخر لكي لا يمل القارئ أو السامع"[(2)]، أما ابن معتز(ت:296هـ) جعل الاستطراد من محاسن الكلام في الخروج من معنى إلى معنى فيقول:" وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني"[(3)]. وفسر بقوله : هو أن المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر بتضمن مدحاً أو وصفاً أو قدحاً أو غير ذلك، وإن غالب وقوعه في الهجاء، وإن وقع في غيره فلا بد من ذكر في الكلام قبل ذلك[(4)]. وعرفه أبو هلال العسكري (ت :395هـ) فقال:" وهو أن يأخذ المتكلّم في معنى، فبينا يمرّ فيه يأخذ في معنى آخر؛ وقد جعل الأول سببا إليه" [(5)]، وقد تبين عند العسكري أن الاستطراد له علاقة بين المعاني وجعلها سببا لبعضها. ثم تلاهم الهاشمي (ت:1362هـ) فقال:" هو أن يخرج المتكلّم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبةٍ بينهما ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول"[(6)].

الاستفهام :

الاستفهام من فنون علم المعاني، فقد تناوله ابن قتيبة (ت: 276هـ) بأسلوب مغاير عمن سبقوه كسيبويه وأبي عبيدة وغيرهما، إذ ذكره في باب مستقل لكن ضمن مباحث الخروج على

مقتضى الظاهر كما اكتفى بالإشارة إلى ثلاثة أغراض هي: التقرير، والتسوية ، والتوبيخ[7]. وبحث أبو هلال العسكري (ت: نحو 395هـ) الذي أولى الاستفهام بعناية خاصه في موضوعات مستقلة في البلاغة، وأشار إليه في باب الخبر والوصف في صورة الاستفهام[8]، وأتى الإمام يحيى بن حمزة العلوي (ت:749هـ) فتطرق في كتابه (الطراز) إلى الاستفهام بدقة وقال:" ... والاستفهام معناه طلب المراد من غير على وجه الاستعلام، فقولنا طلب المراد عام فيه وفي الأمر، وقولنا على وجه الاستعلام يخرج منه الإمر فإنه طلب المراد على وجه التحصيل والإيجاد إلا أنه على نوعين ، أسماء وحروف ... "[9]. وتحدث الهاشمي (ت: 1943م) عن الاستفهام بقوله : "هو طلبٌ العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل"[10].

علاقة الاستفهام بالاستطراد :

ثمة هناك علاقة بين الاستطراد والاستفهام لما يبعث كل من هذهِ الفنون في نفس القارئ إثارة من أجل الحصول على شيء ما، وأن ذلك يبين من خلال استخدام أساليب كل من الاستطراد والاستفهام.

وأسلوب الاستطراد من وظائفه في السياق أنه يثير الاستعطاف أو إثارة الغضب، وقد ينطوي على الاتهام أو النقد أو إثارة الكبرياء فيستطيع أن يثير اهتمام المستمعين أو أن يخفف من قلقهم ، ويكون مقابل الاستطراد الاستفهام أيضاً، وله وظيفة طلب الحصول على صورة الشيء في الذهن، وحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر ما، وما نلاحظ من خلال وظائف كل منهما، أنهما يفسحان مجالاً مجال للشخص أو القارئ للتفكير و التوسع في الكلام؛ لأن فيه سؤالاً يتطلب إجابة لذلك أو الكلام بموضوع ومن ثم الخروج منه إلى موضوع ثانٍ دفعاً للملل ولتساؤلات أثناء الحديث في نفس المتلقي ثم الإجابة عليه، وإن الاستفهام هو نوع جديد للانتقال لمعنى آخر؛ لإثارة المتلقي للإجابة وهذهِ نقطة التقاء بين الفنيين في الانتقال من معنى إلى آخر.

ونعرض فيما يأتي لنماذج من الاستطراد في الحديث النبوي في سياق الاستفهام:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ –رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» [11].

في حديثه عن شجرة من اشجار الجنة في بيئة خضراء اتسمت بالجمال والعذوبة [12]، معتمدا (عليه الصلاة والسلام) أسلوب الاستفهام؛ ولذلك ليلفت انتباه أصحابه (رضي الله عنهم) ويسمع منهم الإجابة، ومن طبيعة العرب أنها إذا أرادت ذكر شيء مهم استفهمت عنه؛ لغرض التأكيد على الأمر، بل وحتى القرآن قد اعتمد هذا الأسلوب لغرض التأكيد على الأمر، وأهمية الأمر الذي ذكره المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديثه عن تلهف أصحابه لمعرفة ماهية الشجرة ونوعها، فلو أخبرهم مباشرة لما اشتاقت أنفسهم، ولوقعت الشجرة في نفوسهم من أول وهلة، فلجأ إلى طريقة الاستفهام وهي طريقة بلاغية قل نظيرها من جذب وشدَّ ذهن السامع وتشويقيه إلى معرفة الإجابة، بقولهِ – إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ– بطريقة الأخبار الذي فيه توكيد، تاقت أنفس السامعين إلى إدراك ماهية الشجرة، ثم بقولهِ– حَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فالاستطراد خرج من وصف شجرة من الأشجار، وتشبيه الشجرة بالمسلم إلى الاستفهام عنها نفسها، وفسح مجال أمام القارئ؛ ليعمل فكرهُ ويثير ذهنهُ، وللإجابة عن السؤال، ويدفعهم ويزيدهم شوقاً للبحث عن ماهية الشجرة، والاستفهام هنا للتشويق، فذهبت أذهان الناس في احتمالات شتى، واتفاق الناس كان على وقع معين في نوع من الأشجار، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، بينما عَبْدُاللَّهِ قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هِيَ، قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ.

وأوضح المهلب الحديث: وكأن النبي –عليه الصلاة والسلام– قد طرح المسائل على صحابته لترسخ الأمر في قلوبهم وتثبيتا لهم، وأن في موضع السؤال والجواب في الحديث إلقاء العالم بالمسائل؛ ليختبر أفهامهم، وانما الاستطراد وقع عندما طرح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السؤال ليستحث أفهام الحاضرين، أو بعض الحاضرين[13]، وبهذا يكون الاستطراد قد خرج للاستفهام عن نوع الشجرة من المعنى الأول وهو وصف الشجرة بأنها شجرة لا يسقط ورقها، والخروج إلى المعنى الثاني الا وهو السؤال عنه بتعبير (فحدثوني ما هي؟) أي (السؤال عن اسم الشجرة)، وإن أسلوب الاستطراد وسع ذهنهم أي أن الذهن وقع على أنواع الشجر، وبهذا انطلق الاستطراد فوسع الذهن فحدثوني ماهي؟ فسح المجال في أذهان السامعين بقوة الاستطراد دفعهم إلى الوقوع في الأشجار الأخرى، وهذا يؤدي إلى إعمال الفكر، والتأمل في الصفات بين المسلم والأشجار، وهذا ما يجعل الإنسان يطلع على هذهِ الصفات، ويعمل فكرهُ فيه، ويثير المحبة في قلبه لها. والدلالة على فضيلة النخلة، والنظر في حكم الذي حصلت اثناء الكلام التي فيه توقير الكبار، وترك التكلم عندهم، لما فعله عبدالله أنه علم الجواب لكنه خجل أن يجيب؛ لأنه كان

صغيراً وفي المجلس من هم أكبر منه. ونجد هذه النقطة في استحباب حضور الصغار مجالس الكبار ـ إذا كان لهم تمييز وحسن أدب؛ لتنمو مداركهم، وتتسع أفهامهم .

وما نجده في الحديث استعمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأسلوب الحواري وهذا بحد ذاته استطراد؛ لأنَّ الحوار يكون فيه كلام طويل، وفسح المجال لطح مواضيع عديده في آن واحد، ومن معنى إلى معنى آخر؛ لان ذلك يكون الخروج من المعنى الأول إلى المعنى الثاني ومن ثم اثناء الحديث والكلام الرجوع إلى الموضوع الأول .

فيحاور النبي أصحابه بطرح أسئلة، والحوار هو استطراد، وأن هذا الأسلوب الذي استعمله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو من الوسائل التي كان يستعملها في تعليمه مع أصحابه (رضى الله عنهم)، لما فيها من لفت انتباه السامعين وإعداد أذهانهم لتلقي الجواب الصحيح وهي من أقوى الأساليب الناجحة في التعلم في كل زمان ومكان. وفيه أيضاً ضرب الأمثال بالشجر وغيرها، وشبه (صلى الله عليه وآله وسلم) النخلة بالمسلم، كما شبهها الله في كتابه، وضرب بها المثل للناس، فقال: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء –يعنى النخلة التي– تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ} [سورة إبراهيم، الآية: 26]، وأشبهت النّخلة المسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ويتخذ منه منافع كثيرة ، وكذلك المسلم فيه منافع كثيرة فيأتي الخير كل حين من الصلاة، والصوم، وذكر الله تعالى، فكأن الخير لا ينقطع منه، فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها، ثم الثمر الكائن منها في أوقاته وهو تشبيه مقلوب؛ لأنه شبة المسلم بالشجرة [14]. وفيه أيضاً أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه ؛ لأن العلم مواهب والله يؤتى فضله من يشاء، وفيه توقير الكبير وتقديم الصغير إياه في القول وأنه لا يبادر بما فهمه وإن ظن أنه الصواب، وفيه استحباب مالم يؤد الى تفويت مصلحة، وفيه التحريض على فهم العلم، وفيه إشارة إلى أن اللغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة في السؤال، وكلما قربه كان أوقع في نفس سامعه، ويظهر من الحديث أن السؤال والإجابة عنه في الاستفهام بهذا الطريقة المتمثلة بالاستطراد[15].

ومن النماذج الأخرى للاستطراد في الحديث الشريف في سياق الاستفهام :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"[16].

يبدأ الحديث عن العباد الذين يؤدون صلاتي الفجر والعصر وملتزمين بها، وكيف يتعاقبون فيهم الملائكة، وسما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) العصر وسطى، وجعلها بمقام صلاة الفجر؛ لفضلها واجتماع الملائكة فيها في قوله: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر). فالصبح مذكورة في الكتاب الكريم {وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا} [سورة الإسراء، الآية: 78]، والعصر وسطى بالسنة؛ لأن الصبح مذكورة بالكتاب الكريم بشهود الملائكة لها، والعصر مذكورة بذلك في السنة الشريفة، ألا ترى أن عائشة وحفصة أمرتا أن يكتب لهما في المصحف [17]: "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ "، ثُمَّ قَالَتْ عَائِشَةُ: «سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»" [18]، فخصتا العصر بالمحافظة مع الوسطى لاشتراكهما في تعاقب الملائكة؛ لأن الناس في هذين الوقتين النومُ أو الكسل، وأن العصر يُغلبون عليها بالكسل والسآمة لما كانوا عليه من اشتغالهم ونظرهم في معاشهم، فتزاحم الشغل والكسل في وقتها. وانتقل الكلام من المعنى الأول الا وهو (الصلاة) إلى المعنى الثاني استطراداً في سياق الاستفهام الا وهو (كيف تركتم عبادي) وقع الاستطراد في المعنى الثاني وهو الاستفهام فيسأل الله تعالى الملائكة عن حال المصلين وهو أعلم بحالهم، والحكمة من سؤالهم إظهار شهادتهم لبني آدم بالخير، كيف تركتم عبادي ؟ ووقع السؤال عن آخر الأعمال ؛ لأن الأعمال بخواتيمها، فيقول الملائكة المسؤولون: تركناهم وهم يصلون، وأيناهم وهم يصلون، وقموا الترك على الإتيان مع أن الإتيان أسبق لمطابقة السؤال؛ لأنه قال: كيف تركتم، ولأن أعمال العباد معتبر بخواتيمها، وهنا يكون رجوع الاستطراد إلى معناه الأول ألا وهو (الصلاة) وتكون قد اكتملت بهذهِ الصورة الاستطراد في سياق الاستفهام وهي كما يأتي البدء بالصلاة ومن ثم سؤال الملائكة عن كيفية حال العباد ومن ثم الرجوع إلى الصلاة. وقال المهلب: أن أهم ما يسأل عنه العبد عند ملاقاة ربه: الصلاة، وأن أهم الصلوات صلاة الصبح وصلاة العصر؛ لاجتماع الملائكة فيهما، وأن الله تعالى، يسأل عما أكد المحافظة عليه منهما، فلذلك عرفهم أنهم ملاقوه وأنهم يرونه، ويسألهم عن ذلك [19] .

وأن فضل صلاة الجماعة في الفجر والعصر، إثبات كلام الله تعالى مع ملائكته الكرام ودلالة على كلام الله تعالى مع ملائكته كما يشاء، وأثر الإيمان بقدوم رسل ربنا وسؤال ربنا عنا، من ضبط أحوالنا في هذه الأوقات ونفرح به، ونستقيم في الأوامر والنواهي، ومن ذلك فيه تشريف لهذهِ الأمة على غيرها من الأمم. وخص هذين الوقتين لاجتماع الملائكة فيهما ورفعهم أعمال العباد لكي لا يفوتهم هذا الفضل العظيم، ولا شك أن الذين يصعدون كانوا مقيمين عندهم مشاهدين لأعمالهم في جميع الأوقات، ولكن هو يسالهم عن حالهم في هذين الصلاتين، وهو غني عن سؤالهم هذا؛ لأنه عليم بهم و أنما يسألهم عن ذلك في الملأ الأعلى ويستطرد بهذا

السؤال، تنويهاً بشأن بني آدم ، وبيان فضلهم وليباهي بهم الملائكة، ويحتمل إن الله تعالى يستر عليهم ما يعملونه فيما بين الوقتين، وفيه إشارة إلى الحديث الآخر" إن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما" ثم وقع الاستطراد في السؤال عن كل طائفة عن آخر شيء فارقوهم عليه [20]. ومن لطف الله تعالى بعباده وإكرامه لهم جعل اجتماع ملائكته في حال طاعة عباده لتكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة، وأن الصلاة أعلى العبادات؛ فقد وقع عليها السؤال والجواب وبدا بها الاستطراد وأكتمل بها، وأن لكل سؤال جواباً، وأن الله عز وجل سأل عن عباده، وهو عالم من جواب السؤال وسألهم عن ذلك، وهنا تكمن قوة الاستطراد في سياق الاستفهام، وأن الإبهام في الشيء ثم التبيين هذهِ من أساليب البلاغة التي يقصد بها شد انتباه المخاطب.

ومن نماذج الاستطراد في الحديث الشريف في سياق الاستفهام:

عن عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ – أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ –» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ "، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»[21] .

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم الناس جوامع الأمور التي تنفعهم في دينهم وآخرتهم، وقد رحب رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقوم الذي جاؤوا إليه بالإسلام غير خزايا ولا ندامى، فهذا إظهار لشرفهم؛ إذ دخلوا الإسلام طائعين من غير إكراه . وفيه ذلك ملاطفة الضيف بما يؤنسه ويجعله يطمئن، وذلك من إبراز القيم الإنسانية المثالية التي ترفع من مكانة الفرد في الإسلام [22]، وهذا صريح فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما رحب بالقوم وفي ذلك تدخل البهجة والسرور و الأنس في قلب الضيف[23].

فقالوا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنا لا نستطيع أن نأتيك ألا في الشهر الحرام، والمراد به جنس الشهر، فيتناول الأشهر الحرام الأربعة، وهي : رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وأنهم مكنوا في هذهِ الأشهر دون غيرها؛ لأن العرب كانت لا تقاتل فيها، وطلبوا من

النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) أن يأمرهم بأمر فصلٍ، يبين لهم به الحق والباطل؛ ليخبروا به قومهم في بلادهم [24].

أن المعنى الأول وقع في الإيمان بقولهِ – أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ – أن الاستطراد في سياق الاستفهام عندما سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الإيمان وهو بمثابة المعنى الثاني ألا وهو – أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ – ذكره تنبيهاً لهم لتفريغ أذهانهم وضبط ما يلقى إليهم فيكون أوقع في نفوسهم، استطرد بالكلام واستفهم عن ذلك وكان جوابهم تأدباً وطلباً للسماع منه (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم كانوا مؤمنين، بانَ ذلك في الرجوع إلى المعنى الأول مستطرداً في قولهِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أحكام الإسلام والتفصيل بها – شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ ... – وأن الإيمان واقع على الأعمال، ألا ترى أنه أوقع اسم الإيمان على الإقرار بشهادة التوحيد، وعلى إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأداء الخمس، وإنما نهاهم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت [25]، لأنهم سألوه عن الأشربة، وكانت كثيرة عندهم، فأعلمهم بما يحتاجون إلى علمه. وكذلك أعلمهم أن أداء الخمس من الإيمان، لأنهم كانوا مجاورين لكفار مضر، وكانوا أهل جهاد ونكاية لهم. فإن قيل: فإنه جاء في الحديث، أنه أمرهم بأربع، وإنما أمرهم بخمس. أي أن استعانة العالم في تفهيم الحاضرين، والفهم عنهم ببعض أصحابه (رضى الله عنهم). وينبغي للعالم أن يحث الناس على تبليغ العلم وإشاعة أحكام الإسلام ، ولا عيب في ذلك إن أوضح الجواب لطالب المعرفة والعلم بشيء، وهذا بيان مهمات الاسلام وأركانه سوى الحج. وأن الأعمال تسمى أيماناً، والحث على حفظ حديثه؛ لما احتواه من علمٍ وحكمة وفِقه واخبار ما يأتي بعدهم من أقوام، وهي بمثابة توصيل رسالة من رسائل الإسلام وعلى لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأكد على ذلك بعد الاستطراد بالكلام إلى الإخبار عن هذهِ الأمور بقولهِ– احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ – وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمرهم بالأربع التي وعدهم بها، ثم زادهم خامسةً، وهذا غير منكر، لأنه وَفَّى لهم بوعده في الأربع التي سألوه عنها، ولم يجعل التوحيد، ولا الإيمان بالرسول من الأربع، لعلمهم بذلك، وإن ذكر الشهادتين تبركاً بهما، وإنما أمرهم بأربع لم تكن في علمهم أنها دعائم التوحيد وأصله. ولم يخبرهم عن جميع أحكام الإسلام؛ لكونهم سألوه عن ما يمكن فعله لدخولهم الجنة، فاقتصر لهم ما يمكن فعله في الحال، وهذا تحريض العَالِم للناس أن يحفظوا العلم، ويُعلموه، وعلى الرجل أن يعلِّم أهل بيته، وهذا دليل على أن الدين الإسلامي دين علم وتعلم ودين شامل لكل المجالات وكل ما يود معرفته السائل وطالب العلم[26].

الخاتمة

فقد خلص البحث إلى نتائج نذكرها إجمالاً:

1- الاستطراد أسلوب بلاغي جميل له أثر في دلالات المعاني على طول السياق ابتداء من المعنى الأول وانتهاء بالمعنى الثاني مع ما تحمله سياق المعنيين من الفنون البلاغية التي تسهم في إغناء تركيبة الاستطراد فتكون ثرة بالمعاني الجميلة الهادفة لتتحقق الغاية المرتجاة من ايراد هذا الفن في سياق التعبير النبوي الشريف.

2- جمال التناغم بين الفنون البلاغية في الحديث الشريف يدعو إلى التفكر والتأمل فتأخذ بعضها برقاب بعضٍ وتعاضد بعضه مع بعض في تعبير فني رائع يسهم في إثارة المتلقي ودفعه إلى العمل بمقتضى الغاية النبيلة في نشر أسس الخلق الحسن وكل ما من شأنه أن يخدم هذا المجتمع المسلم.

3- وأسلوب الاستطراد مع الاستفهام في سياق واحد أنه يثير الاستعطاف أو إثارة الغضب، وقد ينطوي على الاتهام أو النقد أو إثارة الكبرياء فيستطيع أن يثير اهتمام المستمعين أو أن يخفف من قلقهم، وفيه وظيفة طلب الحصول على صورة الشيء في الذهن، وحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر ما، وما نلاحظ من خلال وظائف كل منهما، أنهما يفسحان مجالاً مجال للشخص أو القارئ للتفكير و التوسع في الكلام؛ لأن فيه سؤالاً يتطلب إجابة لذلك أو الكلام بموضوع ثم الخروج منه إلى موضوع ثانٍ دفعاً للملل ولتساؤلات أثناء الحديث في نفس المتلقي ثم الإجابة عليه، وإن الاستفهام هو نوع جديد للانتقال لمعنى آخر؛ لإثارة المتلقي للإجابة وهذهِ نقطة التقاء بين الفنيين في الانتقال من معنى إلى آخر.

الهوامش

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي:501/2.
و ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين :3/ 455. ولسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي:3/ 268.

(2) البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ: 22.

(3) البديع في البديع، ابن معتز: 75 .

(4) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ،لابن أبي الاصبع المصري: 130 ــ 132.

(5) كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري:398/1.
(6) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي:390.
(7) ينظر: أدب الكاتب، محمد بن عبدالله مسلم بن قتيبة : 4.
(8) ينظر: كتاب الصناعتين: 450.
(9) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة مؤيد : 286.
(10) جواهر البلاغة : 95.
(11) صحيح البخاري، (ح61): 1/ 22.
(12) ينظر: القافية في شعر الطبيعة عند وكيع التنيسي، د. باسم ناظم سليمان: 97.
(13) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: 1/ 141.
(14) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: 1/ 141.
(15) ينظر: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، العسقلاني: 1/ 146 ـ 147.
(16) صحيح البخاري، (ح555): 115/1.
(17) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال :2 / 179– 180.
(18) سنن أبي داود، أبو داود سليمان، ح410: 112/1.
(19) شرح صحيح البخاري لابن بطال:2 / 179 ـ 180.
(20) فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني: 2/ 35 ـ 36.
(21) صحيح البخاري، (ح53): 129/1.
(22) ينظر: الرقيق في الشعر الجاهلي دراسة موضوعية، د. سامي جاسم محمد: 561.
(23) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني: 1/ 129 ـ 135.
(24) ينظر: البحر المحيط في التفسير:382/2.
(25) الدباء: هو القرع؛ يفرغ مما بداخله حتى يكون ظرفاً ووعاءً يعد فيه الخمر، الحنتم: الجرار واحدتها حنتمه أي جرّة، النقير: جذع تنقرونه فتقذفون فيه من القطيعاء أو قال من التمر ثم تصبون فيه الماء اذا غليانه شربتموه، المزفت: ويسمى المقير وهو الوعاء المطلي بالزفت وهو القار، ينظر: تفسير القرطبي، 73/18.
(26) ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال: 1 / 118–119. وفتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني: 1/ 129 ـ 135.

المصادر والمراجع

1– أدب الكاتب، محمد بن عبدالله مسلم بن قتيبة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، مصر، مطبعة السعادة، 1382هـ ـ 1963 م.

2- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، (د.ط)، 1420هـ.
3- البديع في البديع، ابن معتز (ت: 296 هـ)، تحقيق :عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 1433هـ ـ 2012 م.
4- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، عام : 1423 هـ .
5- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د. ط)، (د.ت).
6- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964 م.
7- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط 1، 1422هـ .
8- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، تحقيق : محمد التويجي، دار مكتبة المعارف ناشرون، بيروت– لبنان، ط1، 2015م.
9- شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: 855هـ)، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1420 هـ –1999م .
10- شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ) ،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد – السعودية ، الرياض، ط2، 1423هـ – 2003م .

11- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط 4 ،1407 هـ - 1987م.

12- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: 745هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، ط1، 1423هـ .

13- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

14- فتح الباري في شرح صحيح الامام ابي عبدالله محمد بم اسماعيل البخاري ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ) ، تحقيق : عبد العزيز بن عبدالله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989م.

15- كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، تحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت،1419 هـ .

16- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط 3 ،1414 هـ .

17- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، عام : 1399هـ - 1979م .

المجلات والدوريات

1- الرقيق في الشعر الجاهلي دراسة موضوعية، د. سامي جاسم محمد، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد (94)، 2022م.

2- القافية في شعر الطبيعة عند وكيع التنيسي، د. باسم ناظم سلمان، مجلة جامعة كركوك، كركوك، المجلد (9)، العدد (1)، 2014م.

Dr. Saad Abdel Rahim Ahmed
Kirkuk University
College of Education for Human Sciences

Manal Hajji Salem
Kirkuk University
College of Education for Human Sciences

Abstract

Digression contributed to revealing the secrets of prophetic expression through its collaboration with the art of interrogation, which is one of the arts of semantics, and identifying the most important secrets of digression, and how it has an effect on sympathy and arousing anger, which arouses the interest of the recipients and its counterpart is the interrogative. To make room for the person or recipient to think and expand on his speech; Because it contains a question that requires an answer to that speech with a topic and then departing from it to a second topic. To ask questions while speaking to the recipient and then answer them. Interrogative questions are a new type of transition to another meaning. To stimulate the recipient to answer, and this is a meeting point between technicians in moving from one meaning to another. This is evident through the models that were analyzed and the most important points in them. To demonstrate the eloquence and miracle in the hadith of the Messenger of God (may God bless him and his family and grant them peace).